الكبرياء لله وحده ﷻ، قال الله مادحًا نفسه: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[الجاثية:٣٧]، وقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الحشر:٢٣].

فربُّنا ﷻ تكبر عن كل سوء، وَتَكَبَّرَ عن السيئات، وَتَكَبَّرَ عن ظلم العباد.

وربُّنا ﷻ هو الذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة.

فهو ﷻ المُتَكَبِّرُ عن كل سوء، المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم.

وأصل الكبرياء: الامتناع، وربنا ﷻ ممتنع عن النقص والسوء والعيب.

❐ **عبودية الانكسار..**

والتاء في اسمه (المتكبر) ليست تاء التعاطي والتكلف؛ كما يقال:

فلان يتعظم وليس بعظيم، وإنما هي: تاء التفرد والاختصاص.

والتكبر لا يليق إلا به ﷻ؛ لأنه وحده الملك وما سواه مملوك، وهو وحده الرب وما سواه مربوب، وهو الخالق وحده وما سواه مخلوق، وهو وحده المتفرد بصفات الكمال والجمال والعظمة والجلال.

لذا؛ استأثر الله ﷻ بهذه الصفة لنفسه، وتوعد من اتصف بها بالعقاب الشديد.

صح عنه ﷺ أنه قال: «قَالَ اللهُ ﷻ: الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمْا؛ قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»[حديث صحيح. رواه أبو داود].

قال الخطابي: "وضرب الرداء والإزار مثلاً في ذلك: يقول -والله أعلم- :كما لا يشرك الإنسان في ردائه وإزاره أحد، فكذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق، والله أعلم".

ومقام المخلوق: مقام عبودية وخضوع، وذل وانكسار للكبير المتعال، ذي الجلال والإكرام. ولعل في هذا سرًّا من أسرار ذكر الله بالتكبير عند الركوع والسجود، وذكر كبريائه وعظمته حال الركوع والسجود.

فقد كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوْتِ وَالمَلَكُوتِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ»[حديث صحيح. رواه أبو داود].

ونزه الله ﷻ أنبياءه وعباده الصالحين عن الكبر، وكانوا يستعيذون من الكبر والتكبر: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا

يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾[غافر:٢٧].

تأمل العواقب!

ومن اتصف بها فسدت نفسه، وزال عنها صلاحها، وطبع على قلبه بالران، ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾[غافر: ٣٥]، وقال ﷻ: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾[غافر:٥٦].

وإمام المتكبرين إبليس؛ ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾[ص: ٧٤]، وهي صفات الملوك الطغاة؛ كفرعون ومن على شاكلته من الطغاة: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾[القصص:٣٩].

ومن زاد ماله وكثر عياله، وبارز الله بهما؛ فقد تسلل الكبر إلى قلبه، فمنعه من قبول الحق؛ كالوليد بن المغيرة: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾﴾[المدثر: ٢٣].

والكبر: سبب هلاك الأمم المكذبة بالحق؛ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[فصلت:١٥].

وقال ﷺ عن قوم صالح ﷺ: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾[الأعراف:٧٦].

ومآل المتكبرين: جهنم، وبئس المصير: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ [الزمر:٦٠].

وجاء عند الترمذي: أن النبي ﷺ قال: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ: طِينَةِ الخَبَالِ»[حديث صحيح] -أعاذنا الله منها-.

❐ **الدواء:**

ومن اعتراه الكبر فلينظر في باطنه نظر العقلاء، ولا ينظر إلى ظاهره نظر البهائم!

وليتذكر أصل وجوده، ومن أين خرج؟ ونهايته في هذه الدنيا.. جيفة منتنة!

حكي: "أن مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها، ويمشي الخيلاء؛ فقال: يا أبا عبد الله! ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله؟

فقال المهلب: أما تعرفني؟

فقال: بل أعرفك، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة".

لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ فِيمَا فِي بُطُونِهِمُ

مَا اسْتَشْعَرَ الكِبْرَ شُبَّانٌ وَلاَ شِيبُ

قال المناوي ﷺ: "فينبغي للإنسان أن لا يحتقر أحداً؛ فربما كان المحتقَر أطهرُ قلبًا، وأزكى عملاً، وأخلص نية، فإنَّ احتقار عباد الله يورث الخسران، ويورث الذُّل والهوان".

قال ابن تيمية: "العاصي الخائف خير من العابد المتكبر".

وعلى العاقل بالتواضع ومجالسة العلماء وضعاف الناس، وعيادة المرضى، ومشاهدة المحتضرين وأهل البلاء، والنظر في سير المتكبرين وأخبارهم؛ كيف كانوا؟ وإلى أي شيء صاروا؟

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى
وَلَمْ تَرَ فِي البَاقِينَ مَا يَصْنَعُ الدَّهْرُ
فَإِنْ كُنْتَ لاَ تَدْرِي فَتِلْكَ دِيَارُهُمْ
مَحَاهَا مَجَالُ الرِّيحِ بَعْدَكَ وَالقَبْرُ

اللهم! إنا نسألك باسمك المتكبر: أن ترحم ضعفنا، وتستر عيبنا، وتغفر ذنبنا، ولا تجعلنا من المتكبرين؛ يا رب العالمين!